وفيها قُتِلَ الفقيه القزويني الزَّاهد بباب الكَلَّاسة[١] من جامع دمشق حالةَ خروجه إلى زيارة القدس بيد إسماعيلي واجهه مُظهراً أنه يصافحه، وضَرَبَه بسكِّينٍ في خاصرته، وانحرف عنه منهزماً، فوقع القزويني إلى الأرض، وحمله أصحابه إلى داخل الكلاسة، فمات في وقته، ودفن بمقابر الصوفية على الشَّرَف القبلي. وأما القاتل فإن بعضَ أصحابِ القزويني لَحِقَهُ إلى الزِّيادة[٢]، فتناول عصا أعمى، وأدخلها بين رِجْلَيْه، فوقع فركبه، وأخذ السكِّين من يده، واجتمع النَّاسُ يضربون العجمي ظناً أنَّه الإسماعيلي، وكادوا يفلتون الإسماعيلي منه، ثم عرفوا القِصَّة، فأوثقوا أكتاف القاتل، وحملوه إلى المعتمد، فحمل إلى السِّجْن، فأقام به لا يُعارض إلى أن عَرَضَ له مرضٌ هلك به بعد أن أُحضر إليه شهود شهدوا على منطقه أنه لم يؤذ، وحُمِلَ إلى البيمارَسْتان، فَهَلك به[٣].

## ثم دخلت سنة إحدى وست مئة

ففي جُمادى الآخرة ـ وقيل الأُولى ـ عَزَلَ الخليفةُ النَّاصر ولدَه أبا نصر محمداً؛ عُدَّة الدنيا والدين عن ولاية العهد بعد أن دُعِيَ له بذلك على المنابر ستة عشر[٤] عاماً، ومال إلى ولده علي، ورشَّحه للخلافة، فاخْتُرِمَ في إبَّان شبابه، فألجأتِ الضَّرورة إلى أن رَجَعَ الحَقُّ إلى نِصابه، فَعَهِدَ إلى أبي نَصْرٍ، فتولَّى بعده، ولقب بالظَّاهر كما سيأتي[٥]، وأما صورةُ العَزْلِ فإنَّه أُلجئ إلى أَنْ كَتَبَ خَطَّه بما سنذكره.

---

(١) أي الباب الشمالي، وهو ما يعرف الآن بباب العمارة.

(٢) أي باب الزيادة، وهو الباب القبلي للجامع.

(٣) في (ك) و(ع) و(س): فأقام به لا يعارض إلى أن عرض له مرض، وحمل إلى البيمارستان فهلك به.

(٤) في (ك) و(ع) و(س): سبعة عشر عاماً.

(٥) انظر ص ٣٧٩ من هذا الجزء.

قال أبو المظفر: اجتمع أربابُ الدَّولة في دار الوزير ابن مهدي والقُضَاةُ والعلماء والفقهاء والأمراء، وأخرج الوزير رُقْعةً بخطِّ ولي العهد إلى والده مضمونها، أنَّه حين ولَّاه العَهْدَ لم يكن يعلم ما يجب عليه فيه، ولا قدَّر ذلك، وأنه سأل أباه إقالته وعَزْلَه، وأنَّه لا يَصْلُح لذلك، وشَهِدَ عليه أبو منصور بن سعيد بن الرَّزَّاز، وأبو نصر أحمد بن زهير العَدْلان بذلك، وأنَّ الخليفةَ أقاله، وأنشأ محمد بن محمد القُمِّي ـ الذي ناب في الوزارة، وعُزِلَ في أيام المستنصر، ولقب بالمكين ـ كتاباً يقول فيه:

أما بعد، فإنَّ أميرَ المؤمنين كان قد قَلَّد ولده أبا نصر محمداً ولايةَ العهد في المسلمين، ورشَّحه بعده لإمرة المؤمنين، وألقى عليه هذا القول الثقيل، ونَهج له من مراشد الدُّنيا والدين أوضحَ سبيل، مؤمِّلاً فيه الاستقلالَ بأعبائه، والإتيانَ بما يتبيَّن عن اضطلاعه وغَنَائه، والتخلُّق بأخلاقه التي هي من أخلاق الباري مُقْتَبسة، وعلى ٥١
التَّقْوى مُؤسَّسة، فلما آن أوانُ تكاملِ رُشْده، وبلوغ المبلغ الذي أَمَلَ فيه سَدَادَ رأيه وقَصْدِه، رأى من نفسه القُصورَ عن التزام شروطِ الخِلافة، وما يجبُ عليه من الرحمة للأُمة والرافة، فأَقَرَّ بالعَجْز عن تأدية حَقِّ الأُمَّة في أمره، وأشهدَ عليه أنه لا يَصْلُحُ لها فيما مضى ولا فيما بقي من عمره، وخَلَعَ نفسه فيما كان أميرُ المؤمنين فَوَّض[1] إليه، واعتمد فيه عليه، ولم يَسَع الخليفة إلا استخارةُ الله تعالى في إقالته، وطلب رِضَاه في حَلِّ عُقْدةِ ولايته، فأسقَطَ اسمَهُ من السِّكَك والمنابر، والأقلام والمحابر. ولما خَلَعَه لم يَرَ أَنْ يُعَيِّن أحداً ليلقى الله بذمَّةٍ بَرِيَّةٍ من الآثام، غيرِ متعلِّقةٍ بوزرٍ يَخُصُّ الخاصَّ ويَعُمُّ العامَ، وقد وافق أميرَ المؤمنين عمرَ بنَ الخَطَّاب رضي الله عنه حيثُ جَعَلَها شورى في السِّتَّة المذكورين من أعيان المهاجرين، ولما قال له عبدُ الله ابنه: ما يمنعك أن تُعَيِّنَ من تراه أهلاً؟ فقال: لا والله، لا أتحمَّلُها حَيّاً ومَيِّتاً، وذكر القُمِّي كلاماً طويلاً، وكتب نُسَخاً إلى الأطراف[2].

---

(١) في (س): فوضه.

(٢) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦٠١ هـ).

وحجَّ خالي أبو محمد يوسف في هذا العام، وقرأ الكتابَ بمكة عند البيتِ الحرام، وبالمدينة عند قبرِ النبي، عليه أفضلُ الصَّلاةِ والسَّلام[١].

قال: وفي جُمادى الآخرة عقيب هذه الواقعة وَقَعَ حريقٌ بدار الخلافة لم يَجْرِ في الدُّنيا مِثْلُه؛ فُتِحَتْ أبوابُ الدَّار بالليل، وركِبَ الوزير ابنُ مهدي وأربابُ الدولة إلى خزانة السِّلاح، فرأوا النَّار قد لعبت فيها، واجتمعَ جميعُ مَنْ ببغداد من السَّقَّائين والفَرَّاشين بالقِرَب والرَّوايا، والصُّنَّاع والفَعَلة، وأقاموا يوماً وليلة يقلبون الماء على النَّار وهي تزداد، فاحترقَ جميعُ ما كان في الخِزانة من السِّلاح، والأمتعة، والقِسِيِّ، والنُّشَّاب والرِّماح، والجروخ والسُّيوف، والجواشن، والزَّرَدِيَّات وقدور النِّفْط، والخُوَذ المرصَّعة بالجواهر واليواقيت، وعملتِ النارُ، وساعدها الهواء، ودَبَّتْ إلى الدُّور والتَّاج، والدَّار البيضاء، فخرج الخليفةُ منها إلى دِجْلَة، واحترقتْ خزانةٌ فيها رأس البساسيري، وطغريل وغيرهما، ويقال: إنَّ قيمةَ ما ذهب ثلاثةُ آلاف ألف دينار وسبع مئة ألف دينار، وكان في ذلك عبرة لمن اعتبر، وفكرة لمن افتكر[٢].

قال: **وفيها** جاءتِ الفرنج إلى حماة بغتةً، وأخذوا النِّساء الغَسَّالات من باب البلد على العاصي، وخرج إليهم الملكُ المنصور بن تقي الدين، وثبتَ، وأبلى بلاء حسناً، وكَسَرَ الفرنجُ عَسْكَرَه، ووقف في السَّاقة من الرُّقيطاء إلى باب حماة[٣]، ولولا وقُوفُه ما أَبْقَوْا من المسلمين أحداً.

---

(١) مرآة الزمان (حوادث سنة ٦٠١هـ).

(٢) المصدر السالف.

(٣) في المطبوع زيادة: وامتلأت أيديهم بالمكاسب، وأسروا من حماة شهاب الدين أحمد بن شداد البلاعي من قرية بلاعة، وكان فقيهاً شجاعاً، تولى حماة مرة، وسلمية أخرى، وحمل إلى طرابلس، فهرب، وتعلق بجبال بعلبك، ووصل إلى حماة سالماً.

قلت: وهذه الزيادة ليست في النسخ الخطية التي اعتمدت عليها، ولا في نسخ «مرآة الزمان» التي بين يدي، ولعلها زيادة من ناسخ النسخة التي اعتمد عليها ناشر المطبوع، والله أعلم.

وحجَّ بالنَّاس من العراق وجه السبع، ومن الشَّام صارم الدِّين بُزْغُش العادلي؛ والي قلعة دمشق، وزين الدين قَرَاجا، صاحب صَرْخَد، وغيرهم.

قال: **وفيها** توفي عبد المنعم بن علي بن الصَّيْقل، أبو محمد الحَرَّاني، ولقبه نجم الدين.

قَدِمَ بغداد أول مرة في سنة ثمانٍ وسبعين وخمس مئة، وتفقَّه على أبي الفتح ابن المَنِّي، وسمعَ الحديث الكثير من أبي الفتح ابن شاتيل، وأبي السَّعادات بن زُرَيق، وجَدِّي رحمه الله وغيرهم. وعاد إلى حَرَّان، ووعظ بها، وحَصَلَ له القَبُول التَّام، فاستشعر منه الفخر محمد ابن تيمية، خطيبُ حَرَّان، وخاف أن
٥٢ يتقدَّم عليه، فلما رأى النجم ذلك عاد إلى بغداد، فاستوطنها، ووعَظَ بها، وحضرتُ مجالسه بمسجد باب المشرعة، وكان يقصد التجانس في كلامه، وسمعته ينشد:

وأَشتاقُكُمْ يا أَهْلَ وُدِّي وبَيْنَنا كما زَعَمَ[1] البَيْنُ المُشِتُّ فراسخُ
فأَمَّا الكَرَى عن ناظِري فَمُشَرَّدٌ وأَمَّا هَوَاكُمْ في فُؤَادي فَرَاسِخُ

وكان صالحاً، دَيِّناً، نَزِهاً عفيفاً، كيِّساً لطيفاً، متواضعاً، كثيرَ الحياء، وكان يزورُ جَدِّي[2]، ويسمع معنا الحديث، وكانتْ وفاتُه يومَ الخميس سادس عشر ربيع الأول، وصُلِّي عليه بالنِّظامية، ودُفِنَ بباب حَرْب، وخلَّف ولدين: النجيب عبد اللطيف، والعز عبد العزيز، صارا تاجرين لديوان الخلافة.

**وفيها** توفي محمد بن سَعْد الله بن نَصْر، أبو نصر بن الدَّجاجي[3]، الواعظ

---

(١) في هامش الأصل: حكم، وهي نسخة (س).

(٢) في (ك) و(ع) و(س) يزور جدي بالنظامية، بزيادة بالنظامية، وهي زيادة مقحمة على النص من ناسخ، لعل نظره انتقل إلى السطر التالي، إذ ليست في «مرآة الزمان»، ولا يعرف عن ابن الجوزي أنه درس بالنظامية، وانظر ص ١٠١ من هذا الجزء، ففيه ذكر للأماكن التي كان يدرِّس فيها ابن الجوزي.

(٣) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠١ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/٥٨ ـ ٥٩، المختصر =

الحنبلي، في ربيع الأول، ودفن بباب حَرْب، ومولده سنة أربعٍ وعشرين وخمس مئة، سَمِعَ أبا منصور القَزَّاز وغيره، وأنشد لنفسه:

نَفْسُ الفتى إن أَصْلَحَتْ أحوالَها ... كان إلى نَيْلِ التُّقَى أحوى لها
وإن تَرَاها سَدَّدَتْ أقوالَها ... كانَ على حَمْلِ العُلا أقوى لها
فلو تَبَدَّتْ حالُ مَنْ لها لها ... في قبرِهِ عند البِلَى لهالها

قال العِزُّ بنُ تاج الأمناء: وفي شهور هذه السنة الأواخر تغلَّب طائفةٌ من الفرنج البحرية يعرفون بالبنادقة على قُسْطنطينية[1]، وأخرجوا الرُّوم منها بعد حَصْرٍ وقتال، وحازوا مملكتها، وانتهبوا ذخائرها، وما حوته كنائسها من آلاتٍ ورُخَام، وحملوه إلى الدِّيار المِصْرية والشَّامية، فبيع، ووصل إلى دمشق منه رخامٌ كثير، وكان سامة يَعْمُرُ داره، فَحصَّل منه شيئاً لم يُرَ قَبلَه مثله، فزخرفها به.

قلتُ: هي الدار التي جعلها البادرائي رسولُ الخليفة مدرسةً للشَّافعية[2].

قال: **وفيها** توفي العَدْل أبو محمد المعروف بعَدْل الزَّبداني[3] سابع عشر المحرم بدمشق.

---

= المحتاج إليه: ١/ ٣، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠١ هـ)، ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ٣٤ ـ ٣٦، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٨٧.

(١) كذا قال، وهو وهم، والصواب أن سقوط القسطنطينية بيد الفرنج كان في يوم الاثنين ١٠شعبان ٦٠٠ هـ = ١٢ نيسان ١٢٠٤م.
انظر «الحملة الصليبية الرابعة» للدكتورة إسمت غنيم ص ٨٧، و«الكامل» لابن الأثير: ١٢/ ١٩٠ ـ ١٩٢.

(٢) هي الآن جامع البادرائية، وهذا النص هامٌ لأنه يزيل وهماً عن أصل بناء الجامع، فقد وقف على رخامه وأعمدته مؤرخ دمشقي هو نعمان القساطلي، فذهب وهمه إلى أنه كان دار الأسقفية أيام الرُّومان، ذكر ذلك في كتابه «الروضة الغناء في دمشق الفيحاء» ص ١٠٨، وتابعه على ذلك صديقنا الأستاذ أكرم حسن العلبي، في كتابه «خطط دمشق» ص ١٠٨. وسترد وفاة البادرائي ص١٢٢ ـ ١٢٣ من الجزء الثاني.

(٣) هو نجيب الدين أبو محمد عبد الله بن عبد الله، كان له مكانة عند السلطان صلاح الدين وأولاده لمعرفة قديمة كانت بينهما، وقد سلفت بعض أخباره في «كتاب الروضتين»: ٤/ ٢٦٠، =

**وفيها** توفي القاضي محيي الدِّين بن أبي عَصْرون[١] في أول ربيع الأول بدمشق.

**وفيها** توفي الأمير علم الدين كُرْجي الأَسَدي[٢] بدمشق ثالث عشر ربيع الآخر، وصلى عليه العادل بمرج باب الحديد، ودُفِنَ بالجبل.

ووصل الخبر بموتِ يوزبا التَّقَوي[٣] غريقاً ببلاد المغرب في خدمة ابن عبد المؤمن.

**وفيها** قُتِلَ قاضي دارا ظاهر حلب[٤]، بالمنزلة المعروفة بالسَّعْدي في أواخر ذي القَعْدَة.

**وفيها** في ربيع الآخر توفي الشَّاعر الحِلِّي عليُّ بنُ الحسن الملقب بشُمَيْم[٥]، وكان قليلَ الدِّين، ذا حماقةٍ ورقاعةٍ، وله حماسة[٦] ورسائل، وقال:

---

= ٢٦١، ٤٥٤، وانظر «الوافي بالوفيات»: ٣/ ٢٥٨ (في ترجمة محمد بن عبد الصمد بن عبد الله، أحد حفدته).

(١) له ترجمة في كتاب الروضتين: ٢/ ٤٣٠، ٤/ ٤٢٤، الوافي بالوفيات: ٣/ ٣٤٩ ـ ٣٥٠، قضاة دمشق: ٥١ ـ ٥٢.

(٢) انظر أخباره في «كتاب الروضتين»: ٤/ ٢٥٣، ٤٥٧.

(٣) هو يوزبا مملوك تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، ابن أخي صلاح الدين، وكان تقي الدين قد سيره إلى المغرب سنة ٥٨٢ هـ للاستيلاء عليها. انظر أخباره في «كتاب الروضتين» ٣/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧، ٤/ ١٩٤، ٢١٧، وتاريخ الإسلام (ت ١٣ وفيات سنة ٦٠١ هـ).

(٤) له ترجمة في كتاب الروضتين: ٤/ ٤٥٩، مفرج الكروب: ٣/ ١٦٧ ـ ١٦٨، الوافي بالوفيات: ٢٥/ ٣٨١، السلوك للمقريزي: ج١/ ق١/ ١٩٧ ـ ١٩٨.

(٥) له ترجمة في معجم الأدباء: ١٣/ ٥٠ ـ ٧٢، ذيل تاريخ بغداد لابن النجار: ٣/ ٣١١ ـ ٣١٧، إنباه الرواة: ٢/ ٢٤٣ ـ ٢٤٦، التكملة للمنذري: ١/ ٦٥، وفيات الأعيان: ٣/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٤١١ ـ ٤١٢، العبر للذهبي: ٥/ ٢، تاريخ الإسلام (ت ٣٦ وفيات سنة ٦٠١ هـ)، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠١ هـ)، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٨٨، بغية الوعاة: ٢/ ١٥٦ ـ ١٥٧، شذرات الذهب: ٥/ ٤ ـ ٦.

(٦) قال ابن خلكان: ٣/ ٣٣٩: وجمع من نظمه كتاباً سماه «الحماسة» رتبه على عشرة أبواب، وضاهى به كتاب الحماسة لأبي تمام الطائي.

أقمتُ مُدَّةً آكل في يومٍ شيئاً من الطِّين، فإذا وضعته أَشَمُّه فلا أجد له رائحة، فسميت لذلك شُميماً، ذكره ابنُ المستوفي في «تاريخ إربل»[١].

## ثم دخلت سنة اثنتين وست مئة

**ففيها** استوزر الخليفةُ نصيرَ الدِّين ناصر بن مهدي، العَلَوي الحسني، وخَلَعَ عليه خِلْعَةَ الوِزَارة: القميصَ والدَّرَّاعة، والعِمامة، والسَّيْف، وخرج من باب الحجرة، فقدِّمَ له فَرَسٌ من خيل الخليفة، وبين يديه دواةٌ عليها ألف مثقال، ووراءه المهد الأصغر، وألوية الحمد، وطبول النوبة، والكوسات تَخْفِقُ، ٥٣
والعهد منشور بين يديه، وجميعُ أرباب الدَّوْلة مشاةٌ بين يديه، وضُرِبَتِ الطُّبول والبوقات له بالرحبة في أوقات الصلواتِ الثلاث: المغرب، والعِشاء الآخرة، والفجر.

**وفيها** هرب أبو جعفر، محمد بن حديدة الوزير الأنصاري من دار الوزير ابن مهدي، وكان محبوساً بدرب المطبخ عند ابن مهدي ليعذبه، فحلَقَ ابنُ حديدة رأسه ولحيته وخَرَجَ، فلم يظهر خبرُه إلا من مَرَاغَة بعد مُدَّة، وعاد إلى بغداد.

**وفيها** توجَّه ناصرُ الدِّين؛ صاحب ماردِين إلى خِلاط بمكاتبة أهلها، فجاء الملكُ الأشرف، فنزل على دُنَيْسر، وأقطع بلد ماردين، فعاد ناصرُ الدِّين إلى بلده بعد أن غَرِمَ مئة ألف دينار، ولم يسلِّموا إليه خلاط.

**وفيها** أغار ابنُ لاون على بلد حلب، وأخذ الجشار[٢] من نواحي حارم، فبعث الملكُ الظَّاهر بنُ صلاح الدين ميمونَ القصري وأَيْبَك فُطَيْس،

---

(١) لم أجده في مطبوع «تاريخ إربل»، وهو غير تام.

(٢) الجشار: هو مكان رعي الماشية وغيرها، وقد يطلق على الماشية، وهو المراد هنا، انظر «صبح الأعشى»: ١١/ ١٧١، و«تاج العروس»: (جشر)، و«تكملة المعاجم» لدوزي: ١/ ١٩٥ (الترجمة العربية).